ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Ahmed Bey's Policy in Updating and Rehabilitating Tunisian Army

Prof. Muayad Mahmoud Hamad

Maad Ibrahim Muhammad

Tikrit University / College of Education for Girls

* *Corresponding author: E-mail* : gmail@ maad ibrahim77
07702008189

***Keywords*:**
updating,
army,
Tunisia,
Ahmed Bey's, recruitment

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 8 Nov. 2020
Accepted 13 Dec 2021
Available online 9 July 2021
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

Updating Tunisian army was an important necessity in the face of the dangers that would be faced after the French occupation of Algeria in 1830, the exposure to its borders adjacent to Algeria, as well as the Ottoman presence in Tripoli. Ahmed Bey proceeds to update the army, depending on the military techniques that were available during that time so as to counter any attack against his country. This phase imposed heavy and exhausted taxes –a matter that placed the country in severe financial hardships. Nevertheless, Ahmed Bey continued his work to impose security and control over the country and ward off the dangers surrounding it.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.7.2021.12

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

سياسة أحمد باي لتحديث وتأهيل الجيش التونسي

أ.د مؤيد محمود حمد/ جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات

معاد إبراهيم محمد/ جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات

الخلاصة:

كان تحديث الجيش التونسي ضرورة مهمة في مواجهة الأخطار التي من المحتمل مواجهتها بعد احتلال فرنسا للجزائر عام 1830، والتعرض على حدودها المحاذية للجزائر، وكذلك الوجود العثماني في طرابلس، لذلك شرع أحمد باي بتحديث الجيش اعتماداً على التقنيات المتوافرة آنذاك للتصدي لأي اعتداء على بلاده، وأثناء مرحلة التحديث فرض ضرائب ثقيلة على السكان، الأمر الذي أرهق كاهلهم وجعل البلاد تعيش في ضائقة مالية حادة، مع ذلك استمر في عمله لفرض الأمن والسيطرة على البلاد ودرء الأخطار التي تحيط به.

المقدمة

بدأت فكرة تأهيل الجيش التونسي وتحديثه منذ اعتلاء حمودة باشا(1782-1814) الحكم في تونس في 26 أيّار 1782، فكانت النواة الأولى لتحديث الجيش التونسي على أسس عصرية إذ خاض الجيش التونسي حربا ضد الجزائر عام 1807 وتمكن من حسم الحرب لصالحه وتأمين حدوده معها، بعدها جاءت المحطة الثانية من تأهيل وتشكيل جيش نظامي تونسي عام 1831 على يد حسين باي (1824-1835) بإشراف ضباط فرنسين وشَرعَ بإجراءات لتحديث الجيش التونسي وتأهيله ، ولاسيما أن تونس أصبحت بعد عام 1835 بين فكي كماشة، وجود عسكري فرنسي في الجزائر، وجود عسكري عثماني في طرابلس من جهة أخرى، فيما كانت المحطة الثالثة في تأهيل الجيش التونسي وتحديثه في عهد أحمد باي (1837-1855) الذي أتخذ إجراءات مهمة لتحديث الجيش التونسي بهدف جعله جيشاً عصرياً يواكب التطور، فضلاً عن أنه أراد أن يحذو حذو محمد علي باشا في مصر في مجالي الإصلاح والتحديث، وقد أحتاج تحديث الجيش إلى مدربين فرنسيين في جميع صنوفه، فضلاً عن كثرة النفقات على الجيش مما أثر سلبياً على الاقتصاد التونسي وأنعكس ذلك سلبا على الأهالي من خلال قيام أحمد باي بزيادة الضرائب عليهم بهدف تغطية نفقات الجيش.

جاء اختيار موضوع البحث سياسة أحمد باي لتحديث وتأهيل الجيش التونسي، لأهميته ولكشف الغموض الذي صاحب إجراءات التحديث لذلك ارتأيت الخوض في البحث في تلك المرحلة المهمة

قسم البحث على مقدمة وستة محاور وخاتمة جاءت لتغطية الجوانب المهمة من إجراءات التحديث للجيش التونسي التي شرع بقيامها أحمد باي تضمن المحور الأول بدايات الأفكار الإصلاحية في تونس الخاصة في إطار تحديث الجيش ليوضح الطبيعة الإدارية التنظيمية للجيش التونسي، وركز المحور الثاني المعنون أصناف الجيش التونسي التي شملها التحديث وإجراءات تحديث الجيش وصنوفه وما طرأ عليها من تطور واختص المحور الثالث، حصول أحمد باي على رتبة المشير من السلطان العثماني عبدالمجيد الأول (1839-1861)، والشروط العثمانية لمنحهِ رتبة المشير، وركز المحور الرابع على قرار أحمد باي بإنشاء المدرسة العسكرية بباردو وأهمية ونظام المدرسة وألية الدراسة فيها، فيما عالج المحور الخامس محاولات أحمد باي لتحديث وتأهيل البحرية التونسية من خلال إعادة تأهيل الموانئ التونسية والاهتمام بالسفن عن طريق شرائها وإنشاء مصنع لصناعتها وإعادة تأهيلها، فيما تضمن المحور السادس أثر الإصلاحات العسكرية على تونس، والأثار السلبية والتحديات التي واكبت عملية التحديث، فيما كانت الخاتمة حصيلةً استنتاجيةً لما احتواه البحث من أحداث مهمة .

أولاً: بدايات الأفكار الإصلاحية في تونس

تكونت نواة الجيش النظامي الجديد في تونس منذ عهد حسين باي[1]، إذ كانت البداية لتشكيل الفرقة الأولى وبنى لجنودها ثكنة عسكرية سميت المركاض لإقامتهم وتدريبهم، وبذلك كانت جهود حسين باي بوضع اللبنة الأولى في بناء الجيش التونسي النظامي وانتقلت محاولات التحديث بعد ذلك إلى أخيه مصطفى باي[2] الذي عين ابنه أحمد باي[3] قائداً على الجيش، فضلاً عن كونه ولياً للعهد، فكلف أبنهُ

أحمد باي بتشكيل قوة محلية جديدة توازي قدرات الفرق الانكشارية القديمة[4]، فاقترح عليه تكوين فرقة من ألف جندي من العبيد السود المعتوقين، من العبودية إلاَّ أنَّ الضباط نفذوا الأمر بطريقة غير صحيحة إذ اقتحموا المنازل واقتادوا منها كل من كانت بشرته سوداء سواء أكان حراً أم عبداً مما آثار الغضب والاستهجان في المدينة وانهالت الشكاوى على الباي من كل صوب، وفشلت فكرة التجنيد الإلزامي في الجيش عن طريق إحصاء الشباب القادرين على حمل السلاح في البلاد لكي تأخذ منهم حاجة الجيش عن طريق الاقتراع،وحين بدأ بتطبيق التجنيد الإلزامي في تونس اصطدم الباي بمعارضة سكانها الذين لم يعتادوا أخذ أبناءهم للجيش، إذ اعتصم أهالي المجندين وطالبوا من الباي إلغاء أمر التجنيد الإلزامي[5] اقتصرت محاولات الإصلاح الأولى على إضعاف الفرق العثمانية وتكوين فرق جديدة من أبناء تونس، وكذلك من المماليك الذين لا يشكلون خطورة على العرش الحسيني[6].

كانت تجربة أحمد باي في قيادة الجيش ناجحة منذ أن كان وليا للعهد ، وكان يعدَّ نفسه صاحب قرار جريء وذا رؤية ثاقبة ، وله طموح كبير لتطوير قدرات تونس العسكرية، فقد رَكَّزَ في إصلاحاته على الجانب العسكري، وكانت فكرته مبنية على أن بناء جيش نظامي حديث هو نقطة الانطلاق المناسبة والقابلة لتحقيق الإصلاح، ولكنه كان يدرك جيداً أن هناك عائقين يعارضان مشروعه الإصلاحي هما الجهل والتعصب فكان عليه مجابهتهما بالعلم والمعرفة، وقد فهم أحمد باي منذ بدايات تسلمه الحكم أن مستقبل تونس مرتبط باللحظة الذي يتخلى فيه السكان عن أفكار التعصب ويؤمن بالانفتاح على أوربا لتعلم وسائل التقدم والنهوض والتنوير الحقيقي والدخول في علاقات مباشرة مع الأمم الأوربية للتعاون معها والاستفادة من عملها ومعرفتها وخبرتها في تحديث التعليم والإدارة والأخذ بنمط إصلاحاتها[7]، وكان يعتقد أن المؤسسة العسكرية هي افضل إطار لمشروعه الثقافي النهضوي، الذي كان يهدف إليه ويساعده على تطوير الدولة التونسية من خلال النخب العسكرية المثقفة التي ستفرزها المدارس العسكرية[8].

حكمه سعى أحمد باي منذ بداية إلى جعل تونس قوة إقليمية وكأنها دولة مستقلة عن الدولة العثمانية وتتمتع بكل مقومات السيادة من جيش وعلم وعملة واستعمل اللغة العربية عوضاً عن اللغة التركية حتى في المراسلات الرسمية مع السلطان وسعى لفرض شخصية تونس العربية، فأقدم على اتخاذ إجراءات حاسمة على طريق الإصلاح والتقدم وعلى الرغم من كونه عمل صعب ومحفوف بالمخاطر [9].

بدأ أحمد باي حاملاً شعوراً بالقلق من صعوبة مهمة تحديث الجيش إذ لم ينطلق بإصلاحاته من فراغ بل كان عمله في الأساس مواصلة لتلك المحاولات السابقة مستفيداً من كونه كان سابقاً احد قادة الجيش في أواخر عهد أبيه، إذ كانت رغبتهُ بتحقيق دولة مستقلة عن الدولة العثمانية وهذا يتطلب إلى قوة عسكرية محلية يطمئن إليها تكون أساساً لتلك الدولة[10] .

بدأ أحمد باي إصلاح الجيش وتجديده بمجرد أن تولى شؤون البلاد وسماه بالجيش النظامي خلافاً للعناصر القديمة غير النظامية واتبع في البداية أسلوب نظم عسكرية كانت متبعة في عدد من دول أوربا، إلاَّ أنَّه مال إلى فرنسا التي كانت سباقة لتلبية طلبه في المساعدة وأرسلت له بعثة عسكرية، وذلك في نطاق تشجيع توجهاته الاستقلالية عن الدولة العثمانية[11].

خضعت طريقة انتداب الجنود في عهد أحمد باي للمزاج الشخصي سواء من الضباط أو من الباي نفسه، وتمثلت تلك الطريقة في إرسال ضباط الجيش إلى عدد من المدن والقرى، ولاسيما مدن الساحل ليسجلوا في قائمة الجندية كل من يصلح بدنياً بالنظر إلى جسمه ظاهرياً ولم تراعِ في ذلك الرغبة الشخصية، لأنها كانت منعدمة أساساً ولم تراعِ فيها عملية التعميم الكامل لسكان البلاد[12].

رَكَّزَ أحمد باي كل جهده في بناء جيش جديد مع الإبقاء على مكونات الجيش القديم الذي يعتمد على القبائل الذي لم يكن في نظره يمثل أي ضمان لاستقرار البلاد والدفاع عنها، ولاسيما وأن الخطر القادم من البلدان الأوربية التي طورت جيوشها وأسلحتها وأساليبها في الحروب [13].

أقبل أحمد باي على تنظيم الجند في تونس بداية العام 1838، ووصل عددهم في عهده إلى ما يزيد عن ثلاثين ألف جندي موزعين على أصناف المشاة وفرق الخيالة والمدفعية[14].

كان من بين أهم العوامل التي دعت أحمد باي على تكوين جيش نظامي هي رغبته في استقلال تونس التي واكبتها نجاحات محمد علي باشا(1805–1848) في إتباع سياسة مصرية مستقلة عن الدولة العثمانية، فضلاً عن هزيمة الدولة العثمانية أمام فرنسا في الجزائر إذ أثبتت هذه الهزيمة ضعف الدولة العثمانية أمام الدول الأوربية وعجزها عن حماية ممتلكاتها من سياسة التوسع للدول الاستعمارية، فضلاً عن سيطرة الدولة العثمانية على طرابلس عام 1835 وسقوط الأسرة القرمانلية، إذ أثارت مخاوف أحمد باي أن يلقى المصير نفسه كل هذه الظروف والعوامل الداخلية والخارجية، أدت إلى ظهور الحركة الإصلاحية التي تزعمها أحمد باي سيطر عليها الطابع العسكري.

ثانياً: أصناف الجيش التونسي التي شملها التحديث

1- **المشاة:** عند اعتلاء أحمد باي كان يوجد نواة لوائين بحجم فوج لكل لواء وقد تم تأهيلهما من قبل مجموعة الضباط الفرنسيين بقيادة الضابط بالجيش الفرنسين الرائد قاي (GAYE) وشكل لوائين مشاة آخرين يبلغ عددهم ما يقارب أربعة ألاف رجل وتم الاستعانة بخبراء فرنسيين ليشرفوا على تدريبهم، وكان أحمد باي يتابع تدريبهم و ويشجع أولئك الضباط الذين يتميزون بحضورهم وبعملهم الجيد ويكرمهم وأنشأ لكل لواء طاقم موسيقي يشرف عليه مدربون أوربيون[15].

تكمن آلية أحمد باي في تحديث الجيش، في تجنيد أربعة ألاف رجل يقوم بتعيين عدد من الضباط في الألوية الحديثة التكوين ويكونون من المماليك والترك الذين يمتازون بالقدم والخبرة ويحظون بثقته ليكونوا العنصر الأساس للتشكيلات الجديدة، وجلب لهم ضباط أوربيين للإشراف على تدريبهم بصفة مباشرة، وقدمَ إلى تونس في نهاية عام 1837 عدد من الضباط الفرنسيين لتأمين تكوين الألوية الجديدة وتدريبها وتأهيلها ورفع مستوى جاهزيتها[16]، إذ بلغ حجم سلاح المشاة في أوج ازدهار الجيش النظامي ثمانية ألوية مشاة يضم كل لواء ثلاثة أفواج ويضم كل فوج ثمانية سرايا، بلغ العدد الكلي لكل لواء حسب جدول الترتيب حوالي أربعة ألاف رجل ويضم سلاح المشاة في صفوفه شبان من مختلف جهات البلاد،

وكان نظام التجنيد في البداية غير محدد بقوانين فهو بسيط جداً وفيه ثغرات واضحة، وفي حال حاجة الباي للجنود لتطعيم ألويتهِ الجديدة كان يبعث بحملة عسكرية داخل البلاد بقيادة ضابط من أصحاب الرتب العليا تجلب بالقوة عدداً من الشبان الذين يجدهم عن طريق المحلة ومن دون علم أهلهم ويتم فرزهم وتجنيد كل الذين هم في استطاعتهم بدنياً وصحياً حمل السلاح في ألوية الجيش من دون أن يأخذ بالحسبان أي عنصر أخر ولهذا السبب كان سلاح المشاة عبارة عن خليط من الشبان وبأعمار والوان مختلفة وفيما يلي انتشار ألوية المشاة في تونس[17]:

1- اللواء الأول للمشاة في تونس.

2- اللواء الثاني للمشاة في مدينة سوسة.

3- اللواء الثالث للمشاة في مدينة المنستير.

4- اللواء الرابع للمشاة في مدينة القيروان.

5- اللواء الخامس والسادس للمشاة في المحمدية

6- اللواء السابع والثامن للمشاة في غار الملح[18].

تدرب رجال المشاة على يد ضباط فرنسيين على فنيات السير على مسافات بعيدة في الأراضي المحروثة، عبر التلال والوديان وعلى المناورات من حيث الحركة والرمي بالأسلحة في شكل مجموعات من الفصيل والسرية والكتيبة واللواء بالتركيز على تكاملها وتعاونها ومهارة رجالها وانسجامهم في إطار المهام التي يتدربون عليها وتبين وضوح المستوى التدريبي الجيد الذي بلغته ألوية المشاة في عهد أحمد باي درجة عالية من التقدم وأعطى لسلاح المشاة علماً لونه احمر فاقع ولكل فوج علم خاص به[19].

2- عسكر الخفيف:

تعرف أحمد باي على فوج المشاة الخفيفة أثناء زيارته إلى فرنسا في 8 تشرين الثاني1846، إذ قدم له أمرها الضابط الفرنسي عينةً من الأنشطة التدريبية الشاقة وعدد من العروض الرياضية في قاعة رياضية تابعة لفوج المشاة الفرنسي، واعجب أحمد باي بهذا الفوج من الوحدات وَقرَرَ عند عودتهِ إلى تونس إنشاء فوجين من عسكر الخفيف على النمط الفرنسي وطلب من الحكومة الفرنسية أن تبعث له ضباط فرنسيين للإشراف على تكوين هذين الفوجين، وتدريبهما، إذ تم البدء بعدها بإنشاء قاعة للرياضة بالمحمدية، وتم تجهيزها بالمعدات الرياضية وبدأ التدريب إذ تابع أحمد باي شخصياً تكوين هذين الفوجين وتدريبهما على يد النقيب الفرنسي دوما(DAWMA)، فكان يحضر بنفسه عدد من العروض التدريبية التي كان ينفذها الجنود التونسيين بكل إتقان [20].

أنشأ أحمد باي فوجين من عسكر الخفيف إذ يتكون الفوج الأول من ست سرايا فيما يتكون الفوج الثاني من أربعة سرايا والفوجين مجهزين ببنادق، يضم فوج عسكر الخفيف جنوداً متدربين بشكل جيد ويمتازون به من لياقة بدنية عالية وعسكر الخفيف هي وحدة متخصصة مجهزة مدربة على ممارسة العمليات الخاصة والنشاطات المتممة لها ويتم استعمال الفرسان عادةً في عدد من الحالات الخاصة من القتال: مثل الدفاع عن نقطة حاسمة أو الهجوم بغتة على العدو على الجوانب ومن الخلف ويتطلب

الأمر عادة عدم تشتيتها حتى يمكن توظيفها بصفة جيدة في عدد من الحالات التي تستوجب مساندة الخيالة أو المشاة العادية، يتمركز الفوجان بالمحمدية ويقودها احد ضباط البحرية ويركز تدريب هذين الفوجين على رياضة الجمباز والمبارزة بالحربة والرمي إلى جانب التدريب العسكري كان إنشاء أحمد باي لهذين الفوجين من عسكر الخفيف هو من باب التقليد وتطبيق جوانب التقدم في أوربا في تونس ورغبة منه في التحديث والتطور ومواكبة مراحل تطور جيوش الدول الأوربية المتطورة بهدف جعل جيشه يضاهي الجيوش الأوربية حجماً وتجهيزاً وقوة يرهب بها أعداءه [21].

3-الخيالة

بدأ أحمد باي بتشكيل عدد من سرايا الخيالة وشكل كتيبة نظامية للخيالة عام 1839 بعدد يضم ما يقارب ألف فارس وتم اختيار أفراده من الترك والمماليك وقسم قليل من عرب تونس، وأصبحت بعدها تضم لوائين، لواء فرسان مزراقيه ولواء فرسان سوراي وعددهما ما يقارب (2000) فارس إذ يقيم سلاح الخيالة في ثكنة منوبه[22].

ضم سلاح الخيالة خيولاً بربرية وعربية كانت دائماً محل إعجاب الأوربيين والحصان البري هو إحدى السلالات القديمة في بلدان المغرب العربي، والذي يمتاز بخاصيات قيمة جداً مثل: القوة وخفة الحركة والسهولة الفائقة في تحمل التعب، وكان سلاح الخيالة يتكون من شبان ينحدرون من عائلات الأعيان من المماليك والترك، والسبب يعود، أنه في السابق عندما كانت الخيالة تنتمي لفرسان القبائل فهربت كتيبة كاملة بخيلهم وأسلحتهم وبقي مصيرهم مجهولاً وحتى لا تتكرر إعادة مثل هذه الممارسات أصبح فرسان الخيالة ينتدبون من بين الشباب أبناء الموظفين في الدولة والمماليك وأعيان فرسان الخيالة وهذا ما يفسر غياب أبناء البلاد والزنوج في هذه القوة[23].

أصبحت سرايا الخيالة بديلاً عن ديوان صباحية الترك وهي فرقة أمن للجند غير النظامي، إذ وجه أحمد باي عناية خاصة لهذه الوحدة التي حظيت باهتمام كبير، وكان يزورها بصفة منتظمة للاطلاع على شؤون أفرادها وخيولها لرفع معنوياتهم في السلاح الرئيس في ميدان التدريب وتميزت تلك السرايا بحركتها السريعة ومرونتها وقوة نيرانها مما يجعل منها السلاح الهجومي الرئيس على الميدان، أتقن جنود الخيالة ركوب الخيل واحسنوا ترويضها وتُسند وحدات الخيالة مهمة حراسة المقدمة أو حراسة المؤخرة للجيش والاستطلاع الأمني لاستخدامها قوةً ردً سريعة في ميدان القتال[24].

استعملت سرايا الخيالة سلاحها الناري في القتال المنعزل وضمن المجموعات الصغيرة [25].

وأصبحت أعداد فرقة الخيالة في التزايد وبلغ عددها مايقارب15,000 إلى 20,000 فارس وأعطى أحمد باي إلى الخيالة سلاح الفرسان علماً بنفسجياً، وبقيت ثكنة منوبة حتى هذا اليوم مدرسة الفروسية الأولى في تونس وهي تحافظ على التقاليد العريقة التي ركزها الحسينيون بمساعدة فرنسا[26].

4- المدفعية

أنشأ أحمد باي عام 1840 ثكنة عسكرية خارج العاصمة تونس في مكان يعرف بقصر النزهة (استراحة) وجعل فيها لوائين من المدفعية بخيلهم ولوازمهم وفي عام 1846 أنشأ لوائين جديدين بحيث

أصبح سلاح المدفعية يتكون من أربع ألوية محمولين على الخيل مقرهم في تونس العاصمة وحلق الوادي ولوائين مدفعية موجودة على حصون وقلاع موزعة على الأبراج الساحلية وتوجد سريتين مدفعية بثكنة المحمدية تضم كل واحدة ستة مدافع وتتكون معدات المدفعية من أسلحة مختلفة ويقدر عدد سلاح المدفعية والتشكيلات الملحقة به نحو أربعة ألاف رجل اشرف على تكوين وتدريب الجنود في سلاح المدفعية مدربين فرنسيين الذي جعلهم يكسبون مهارات ومعارف جيدة في مجال استعمال المدفعية من حيث تحضير الرمي وتنفيذه وصيانة السلاح، يتكون لواء المدفعية عادة من شبان صغار السن تشبه بدلتهم بدلة سلاح المشاة، ويرتدون بدلتهم بطريقة لائقة وهذا راجع لاستمرارية وجود المدربين الفرنسيين في هذا السلاح ويضعون على الشاشية (غطاء الرأس)علامة مميزة لسلاحهم وهي مدفعين متقاطعين، وقد أعطى أحمد باي لسلاح المدفعية علماً بنفسجياً[27].

5-الهندسة

يوجد في الجيش النظامي سريتين هندسة انتدب على تدريبها وتأطيرها مدربون فرنسيون، وهي مخصصة لتركيز جهودها لإسناد قوات المناورة في الميدان ومن مهام هذه الوحدة المساهمة في بناء الثكنات وترميمها، وتركيز الخيام على الميدان وبناء أفران للخبز ميدانية وحفر الآبار ورسم الطرقات والمسالك وبناء مختلف الأعمال الميدانية مثل: الجسور وهي قادرة على تشكيل نفسها لتقاتل مثل المشاة العادية عند الحاجة ويتبع سلاح الهندسة قيادة سلاح المدفعية[28].

6- سلاح النقل

لم يطرأ على سلاح النقل أي تحديث في عهد الباي على الرغم من التجديد الذي شمل العديد من صنوف الجيش إذ بقي نقل المعدات والذخيرة والخيام والمؤونة عن طريق استعمال الإبل والبغال يقودها أناس عسكريين ويسهرون على تربيتها ورعايتها بشكل مستمر[29].

7-العسة

وتعني فرق الجند المخصصة للحراسة الشخصية للباي وحمايته ويتكون لواء العسة من حوالي ألف رجل من النخبة، وكان الشرط الوحيد للدخول في سلك العسة، أن يكون المترشح من المماليك إذ كان أغلب المماليك في تونس من أصول نصرانية أخذوا من أمهاتهم وهم في سن مبكر وتربوا ونشئوا على تعاليم الدين الإسلامي في أماكن خاصة تعود ملكيتها للباي فهم ليس لديهم عائلة أو وطن فكان اختيار جنود العسة من بين المماليك لتوفر فيهم الصفات الحميدة من حسن الأخلاق والإخلاص والوفاء والشجاعة والتضحية في سبيل الحفاظ على سلامة الباي وعائلته وحاشيته[30].

قدرات الجيش التونسي

تعددت التقديرات حول عدد الجيش التونسي النظامي في عهد أحمد باي وتراوح بين 30,000 40,000 ألف رجل وحسب ما جاء على حد قول محمود بن عياد[31] المزود العام للجيش في عهد أحمد باي، ونظم أحمد باي أركان الجيش ألتونسي طبقاً للأنموذج الفرنسي وضم في أركان جيشه مجموعة من القادة برتبة أمير الأمراء(فريق) وأمير لواء (لواء)، وأمير الأي (عقيد) وموظفين ساميين فضلاً عن

المماليك من كل الرتب والباي نفسه أصبح يحمل رتبة المشير وهي الرتبة التي قلده إياها السلطان العثماني عبد المجيد الأول[32] في 9 آب 1840[33].

كان جنود الألوية العسكرية في تونس مكسوين بصفة جيدة ومحترمة على الطريقة الأوربية وتشكل هذهِ مؤسسات عسكرية حقيقية كما هو حال الوحدات العسكرية اليوم ويسهر على تدريبها مدربون فرنسيون وهم ضباط في الجيش الفرنسي[34].

أصبح لتونس في عهد أحمد باي جيشاً نظامياً يعتمد على المماليك وعلى الشباب التونسي وتم تنظيم هذا الجيش بحرص من أحمد باي فهو يعتقد أن عليه توفير كل الظروف الملائمة لازدهار الجيش إذ عبئ أحمد باي جيشه بشكل منظم ووضع الدواوين وعين رجال دولة وانشأ معامل للألبسة لاستمرارية مشروعه في بناء جيش قوي وعصري إذ أصبح الباب العالي وغيره من القوى الأوربية يضعون في حساباتهم الجيش النظامي الجديد في تونس[35].

حسين جبار إبراهيم، المصدر السابق، ص85-86

كان أحمد باي يحضر بنفسه تسليم القيادات للتشكيلات العسكرية سعياً منه لترسيخ تقاليد جديدة تخدم روح الوحدات وتساعد على تركيز المناخ الإيجابي وتدعم الجو العام بما يسهم في تمتين التماسك بين جميع الأفراد والتشكيلات[36].

ثالثاً: حصول أحمد باي على رتبة المشير

عدت رتبة المشير من الرتب المهمة والمعتبرة وأكثرها مكاناً ووجاهة في الدولة العثمانية، على أثر ذلك قرر أحمد باي أن يطلب رتبة المشير من الدولة العثمانية على الرغم من محاولة عدد من القناصل المقربين منه أن يمنعوه من الإقدام على طلب تلك الرتبة من السلطان العثماني لأنه بذلك يعطيه حق السيادة عليه ويعترف له بذلك الحق إلاَّ أنَّ أحمد باي لم يصغِ لتحذيراتهم[37].

يعد طلب أحمد باي تلك الرتبة لنفسهِ من السلطان العثماني وهو الذي يترفع عن أن يتعامل تابعاً له مثالاً حياً للتناقض والتخبط في سياسته على الرغم من أن طلبه كان يهدف ليضيف رمزيةً جديدة لقيادة الجيش التونسي فضلاً عن كونه الباي والحاكم المطلق لتونس[38].

كان الهدف الحقيقي من طلب الباي رتبة المشير من السلطان العثماني أنه كان يريد أن يوحي للسلطان العثماني بأنه تابع له، وأن الدولة العثمانية هي المرجع والحليف لتونس وبهذا الطلب، سيرضي السلطان بالمقابل أن السلطان العثماني سيؤجل فكرة فرض التنظيمات على تونس والمطالبة بضريبة الجزية السنوية.

أرسل أحمد باي عام 1840 وفداً تونسياً إلى إسطنبول برئاسة مصطفى البهلوان لعرض طلبه على الباب العالي وحمله بمبلغ كبير من المال فوضه بأنفاقهِ هناك اذا تفضلت عليه الدولة العثمانية ولبت طلبه إذ قدم مصطفى البهلوان في البداية طلباً إلى الحضرة السلطانية بقبول هدية أحمد باي إلى الخزينة العثمانية ثم عرض بعد الموافقة على قبول الهدية التماس الباي بطلب تلك الرتبة، ولم يتأخر السلطان عبدالمجيد الأول (1839-1861) في تلبية طلب الباي وصدرت الموافقة على منحه رتبة مشير وتم

منح مبعوثه مصطفى البهلوان رتبة أمير ألأي (عقيد) إكراماً له فارفق السلطان عبد المجيد الأول مع فرمان الترقية العسكرية الذي أرسله مع رسولهِ إلى أحمد باي مجموعة من الطلبات والشروط وهي[39]:

1- تطبيق التنظيمات العثمانية.

2- إلغاء العلم التونسي واعتماد العلم العثماني وحده.

3- الامتناع عن عقد الاتفاقيات مع الدول الأوربية من دون أخذ موافقة السلطان.

4- الامتناع عن ترقية الضباط الكبار إلا بإذن من السلطان.

5- يأتي باي تونس بشخصهِ إلى إسطنبول ليعلن ولاءهِ للسلطان.

6- تدفع تونس مبلغاً من المال سنوياً للدولة العثمانية أسوة ببقية الإيالات العثمانية.

7- يستعين الباي برأي ومشورة الدولة العثمانية في ما يقع بينه وبين الدول الأجنبية من مشكلات وأحداث.

عاد مصطفى البهلوان[40] من إسطنبول ومعه وسام المشير وشاراتهِ وما أن وصل تونس حتى سلمها للباي فسميّ أحمد باي في يوم 9 آب 1840 بالمشير أحمد باشا باي وقرأت الرسالة التي بعثها الصدر الأعظم رؤوف باشا إلى أحمد باي بعد ترجمتها من التركية إلى العربية وكان مضمونها مشابهاً لرسالة السلطان وطلباته، فضلاً عن التوصية بتسليم رتبة الفريق السابقة وكذلك السيف إلى المبعوث العثماني الذي رافق مصطفى البهلوان، أثارت الرتبة الجديدة التي حصل عليها أحمد باي حماسته في مواصلة ما شرع فيه من إصلاحات عسكرية وازدادت ثقته بنفسهِ زعيماً لدولة يسير بها نحو القوة والسيادة فقام بفرض المزيد من التدريب والأوامر العسكرية بكل حدة وصرامة على العسكر[41].

رابعاً: إنشاء المدرسة الحربية في باردو عام 1840

عندما كان أحمد باي ولياً للعهد وقائدا للجيش في عهد أبيه مصطفى باي كانت له بصمات أولية لإصلاحات عسكرية حقيقية كان لها صداها في تونس، وعند تسلم الحكم، اقتنع بأن نهوض البلاد يتحتم أن يتولى فيها نخبة من المثقفين تتولى القيادة وهو ما دفعه إلى تأسيس مدرسة حربية والاهتمام بطلابها ومتابعة التدريس فيها، فكان من الضروري أن يفكر أحمد باي تبعاً لتوجههِ الجديد في إيجاد مبادئ للجيش وبناءه على أسس جديدة[42].

أسس أحمد باي أول معهد علمي يدرس فيه العلوم العسكرية، اطلق عليه مكتب الحرب بباردو أو مكتب العلوم الحربية أو مكتب المهندسين، وقد تم تأسيسه في 5 آذار 1840 وهو ما عُرف بالمدرسة الحربية بباردو، افتتح أحمد باي هذه المدرسة في قصره في باردو وتعد من أهم إنجازاته في المجال العسكري والمدرسة الحربية لها أهداف، منها تعليم ضباط الجيش على العلوم العسكرية وتدريبهم تدريباً حديثاً وتخريجهم على أسس علمية[43] وتكوين كوادر تونسية رفيعة المستوى بإمكانها أن تحل محل الفنيين الأجانب في أشغال الوظائف المهمة التي تتعلق بإدارة الدولة، فضلاً على تعليم الطلبة التونسيين في بلادهم بدلاً من إرسالهم إلى المدارس العسكرية في دول أوربا[44].

كانت مهمة المدرسة إعداد الضباط بمختلف الصنوف والاختصاصات ليعملوا في الجيش التونسي إذ أراد أحمد باي أن يكون الجيش منظماً وفقاً للأساليب الحديثة، وقد جلب لها أبرز المعلمين في أوربا، فكانت تلك المدرسة النواة الأولى لنشر الثقافة العصرية في تونس، درست فيها مختلف أنواع العلوم ومن أبرز من درس فيها العلوم العربية الشيخ محمود قبادو ومحمد التطاوي والشيخ البشير التواتي[45].

جاءت أهمية هذا الإنجاز في أنه مثَّلَ الجانب العلمي الذي لابد منه لتكوين الجيش الجديد وتدريبه وتعليمه وربما كان هذا هو الإنجاز المتميز لأحمد باي الذي كتب له التأثير والدوام لمدة طويلة نسبياً، وفي الوقت نفسه كان بداية التعرف على طرق التعليم العسكري في أوربا[46].

كان الهدف الأساس لأحمد باي من تأسيس المدرسة الحربية إعداد ضباط أكفاء لجيشه يتميزون بخبرات حديثة يكتسبونها من خلال تلقيهم مختلف المعارف والعلوم التي اشتملت عليها مناهج المدرسة الحربية، وهي: القرآن الكريم واللغة العربية وآدابها والنحو العربي واللغة الفرنسية وآدابها والجبر والمساحة والجغرافية ودروس في التحصين الوقتي والتحصين الثابت ودروس في الصناعات الحربية والقوانين العسكرية وصناعة المدافع وحشوها وإطلاقها ودروس في الرسم الهندسي وكل ما يتعلق بالعلوم العسكرية النظرية والتطبيقية[47].

كان طموح أحمد باي أن تكون المدرسة شبيهة بالمدرسة الحربية في كلية سان سير (Saint Cyr) في فرنسا بالعاصمة باريس، وجلب لها أبرع المعلمين من أوربا ومن الدولة العثمانية للعمل فيها كأساتذة وخبراء في الشؤون العسكرية، وقد عين بالمستشرق الإيطالي لويجي كاليغاريس[48] (Luigi Caligaris) مديراً لها،، ومدرساً في المدرسة الحربية، فضلاً عن ضابط إيطالي هو تراني (Troani) وضابط بريطاني يدعى م. ديلكاسيل (M.Delcassel) وضابط فرنسي اسمه فيرييه (Verriee) وغيرهم من الضباط[49].

يدل برنامج مدرسة باردو على أنها لم تكن مدرسة عسكرية بحته، بل كانت مدرسة عسكرية تربوية، وأول مؤسسة تعليمية احتوى برنامجها على مواد العلوم العسكرية، وقد كانت مه أول حركة ترجمة عرفها تاريخ تونس الحديث وهذا ما يبين أن حركة الإصلاح قد مست جانب قريب من الحياة التربوية والثقافية[50].

أما وظيفة الإشراف المالي فمنحت لخير الدين باشا التونسي[51] الذي كان حلقة الوصل بين إدارة المدرسة وأحمد باي، لم يتخل أحمد باي عن تدريس العلوم العربية في تلك المدرسة واختار لها مجموعة من الأدباء التونسيين مثل محمود قبادو: وغيرهم من أدباء وشيوخ وعلماء تونسيين ساعدوا، فضلاً عن عملهم التدريسي على ترجمة مؤلفات عثمانية وأوربية تجاوزت الأربعين مؤلفاً معظمها بالعلوم الحربية وترجم لويجي كاليغاريس كتابه تاريخ الإمبراطور نابليون بونابرت إلى اللغة العربية، وكان قد ألفه بالغة الفرنسية وكان أحمد باي من أشد المعجبين بذلك الكتاب، لأنه من أكثر المتأثرين بشخصية نابليون بونابرت[52].

كان لويجي كاليغاريس يلقي المحاضرة باللغة الفرنسية ويتولى اثنان من الطلاب ترجمتها إلى اللغة العربية ثم يراجعها محمود قبادو ويصححها وتلك كانت الطريقة المتبعة بالمدرسة، وقد كتبت المناهج التعليمية بطرق تطبيقية سهلة وواضحة ومعززة بأشكال ورسوم توضح للطالب الأوضاع والحركات المختلفة للجنود والأسلحة والخيول[53].

شَجَّعَ أحمد باي الأهالي على تسجيل أبنائهم في مدرسة باردو الحربية وكثيراً ما زار المدرسة هو وحاشيته وحث طلابها على الدرس والعلم إذ بدأت المدرسة بعدد مكون من50 تلميذاً تم اختيارهم من بين صغار المماليك وعدد من أبناء البلاد، واقتصر ذلك على أبناء العاصمة ثم أصبحت المدرسة تستقبل كل عام 20 تلميذاً بعد إخضاعهم لامتحان في القراءة والكتابة باللغة العربية تحت إشراف أربعة ضباط ومدير المدرسة ويمنح المتخرج في المدرسة الحربية رتبة ملازم[54].

تألف الملاك التدريسي للمدرسة من المدير وضباط الإدارة والمدرسين وطبيب، وكان للفرنسيين النصيب الأكبر في التدريس، أما المدرسون التونسيون فكان أشهرهم محمود قبادو الذي كَلَّفَ بتدريس العلوم العربية والشرعية والإسلامية، وكان هذا متحمساً لإدخال العلوم العصرية في المناهج المدرسية الحربية لاعتقاده بأن الطلاب العرب يمكنهم من استيعاب هذهِ المناهج لتحقيق التقدم لبلادهم[55].

كانت المدرسة الحربية في باردو النواة الأولى لانتشار الثقافة العصرية في تونس والنافذة التي اطلت على العلوم والمناهج والأفكار الأوربية ومن ثم على النهضة الأوربية الحديثة، إذ تمكن بواسطتها العديد من الشبان التونسيين الخروج من العزلة والانغلاق بعد الاطلاع على الحضارة الغربية، لأنها أتاحت لهم تعليماً عصرياً[56].

هدفت المدرسة الحربية في باردو إلى تخريج ضباط متعلمين في الشؤون العسكرية في البر والبحر[57]، ويعد هذا العمل أهم الإنجازات لكونه إنجاز في الجانب العلمي، فكان أول اتصال علمي حقيقي لتونس مع أوربا في العصر الحديث ويعدً نافذة أطلعت من خلالها النخبة التونسية على الحداثة الغربية[58] .

أصدر أحمد باي منشوراً عسكرياً خاصاً بالمدرسة ارفقه بعدد من الكتب التعليمية المهمة للتلاميذ وخاطب الباي من خلال المنشور الجنود والضباط على مختلف رتبهم يحثهم فيه على أهمية التعلم العسكري وضرورة الطاعة التامة وتوحيد الكلمة في الأعمال الحربية وأبرز في المنشور المكانة الممتازة التي يحتلها الجنود في تونس دينياً وسياسياً بوصفهم حماة الدين والملك، وقد خصهم بالتحية بعد الرسول محمد (ﷺ) ويشير هذا المنشور إلى ادراك أحمد باي ضرورة تعلم الفنون العسكرية لكل جيش حديث، وكان يتفقد ويزور الطلاب في المدرسة بنفسه يشجعهم ويمنيهم بالمستقبل، لأن التقدم يكمن في اكتساب المعرفة وهو ما أكده مدير المدرسة لويجي كاليغاريس بأن لا جيش بدون تعلم، وكان الأخير هو الشخص المناسب لمدير المدرسة الحربية، إذ كان يعرف اللغة العربية والشؤون العثمانية والإسلامية العامة وبالتالي فهو أقرب إلى ضبط
التفاهم مع الطلاب الذين لم يعرفوا بعد اللغة الفرنسية حق المعرفة[59].

جعل أحمد باي مكان المدرسة في أحد قصوره بباردو وهو ما يشير إلى الرغبة الملحة لتكوينها وحتى تتيسر له مراقبتها، وكانت إقامة الطلاب بالمدرسة تشبه إقامة الجنود في الثكنات بلباس موحد وإقامة كاملة وراتب كرواتب الجنود غير أنهم يختلفون عن الجنود العاديين في المؤونة بوصف صغر سنهم وكثرة أعمالهم الدراسية لهذا فإنهم يعاملون مثل الضباط في الوحدات العسكرية الذين يحملون رتبة ملازم، لأنهم سيتخرجون من المدرسة حاملين لتلك الرتبة[60].

تفتح المدرسة أبوابها مرة واحدة كل عام لدخول التلاميذ الجدد وخروج من انتهت إقامته بالنجاح لحمل رتبة ملازم أو بإحالة من لم يكتب له النجاح على الجندية إذ كانت المدرسة تقبل كل عام عشرين طالباً عن طريق الامتحان في القراءة والكتابة بالعربية عن طريق لجنة مكونة من أربعة ضباط ومدير المدرسة، أما منهاج ونظام التعلم في المدرسة ينقسم على مرحلتين تدومان معاً ستة سنوات كاملة[61].

القسم الثاني: يدوم التعلم فيه أربع سنوات.

القسم الأول: يدوم فيه التعلم سنتان.

ولا يستطيع التلميذ الانتقال من القسم الثاني إلى القسم الأول أو من القسم الأول إلى الجيش إلا بعد اجتياز امتحاناً يشرف عليه مجلس مكون من أثنين من الأمراء وأثنين من الضباط في الجيش ومدير المدرسة[62].

1- القسم الثاني: يكون الدوام فيهِ أربع سنوات ويتلقى فيه التلميذ المواد التالية[63]:-

السنة الأولى: القرآن واللغة الفرنسية.

السنة الثانية: القرآن وعلم النحو واللغة الفرنسية.

السنة الثالثة: علم النحو واللغة الفرنسية.

السنة الرابعة: اللغة الفرنسية والجغرافيا وأصول علم الجبر وعلم المساحة.

2- القسم الأول: يدخله الطالب بعد النجاح من القسم الثاني ومدة التعلم فيه سنتان يتعلم فيها الطالب ما يلي:

السنة الأولى: علم رسم الأماكن وعلم التحصين الوقتي والتصرفات العسكرية نظرياً وتطبيقياً والرماية وحمل السلاح والصناعات الحربية وأصول الفنون الحربية[64].

السنة الثانية الاستمرار في تعلم الفنون المذكورة ثم تعلم إتقان استعمال سلاح المدفعية وعلم التحصين الوقتي ورسم الأماكن والصناعة الحربية وتصل جملة المواد التي يدرسها الطالب خلال الستة أعوام إلى سبعة عشرة مادة في برنامج تدريسي مكثف كان هذا النظام التعليمي، ولاسيما بالقسم الأول مكثف ويتركز على الفنون العسكرية التطبيقية البحتة بعد أن درس التلميذ في القسم الثاني العلوم النظرية واللغوية[65].،فضلاً عن دراسة علم القوانين العسكرية المتمثلة على قانون التصرفات الحربية وقوانين الخدمة الأخلاقية وقوانين خدمة العرض وقوانين خدمة المترسات وقوانين نيشان تعليم وكيفية المحافظة على الأسلحة وكيفية تعمير المدافع[66].

كان الإسهام في عمل المدرسة الحربية بباردو واحداً من أبرز الإصلاحات والتحديث التي قام به أحمد باي، فقد وضعت تونس على الطريق الصحيح وكانت هذه الخطوة هي أساس متين لبناء كيان مستقل تتوافر فيه مقومات الدولة من خلال إنشاء جيش متعلم وعصري مستفاداً من التطور الذي وصلت إليهِ الدول الأوربية وأبرزها فرنسا وبريطانيا.

خامساً: محاولات تحديث وتأهيل البحرية التونسية

رَكَّزَ أحمد باي في بداية تسلمهُ الحكم على بناء الجيش ولم يولي اهتماماً للقوة البحرية ولكن بعدها ادرك أن البحرية، وتكوين أسطول بحري قوي لتونس بوصفه الشريان الأساس لتونس فبدأ بتوجيه عنايته نحو البحرية التونسية في إطار سعيه لتطوير القدرات العسكرية لتونس[67]، فقام بإعادة بناء الأسطول التونسي إذ قام بشراء العديد من السفن الحربية، لمواكبتهِ بناء الجيش النظامي الجديد، وانشأ وزارة البحر، وهي أول وزارة في تاريخ تونس الحديث، عَيَّنَ محمود كاهية والمعروف أيضاً بمحمود خوجة وزيراً لها، كان أحمد باي متأثراً جداً بالأفكار الأوربية[68]، وحاول إنشاء ميناء عسكري للبحرية التونسي، فقام في البداية بإصلاح ميناء غار الملح وتوسيعه وتجهيزه وتحديثه بتكلفة كبيرة[69]، فبنى الأرصفة والثكنات والمخازن والترسخانة وأصلح الميناء القديم، ولكن لم يفكر أحد في جرف الوحل الموجود بالميناء المتسبب فيه فحتى أحمد باي لم يستطيع الدخول إلى الميناء بسفينته بعد أن أصبح مستنقعاً بالرواسب الطينية مما جعل ميناء حلق الوادي يفرض نفسه بأن يكون الميناء الرئيس لتونس [70]، قرر أحمد باي أن يجعل من ترسخانة حلق الوادي وبرجها مؤسسة صناعية لصناعة السفن وصيانتها وجلب لها مهندسين فرنسيين وعمل في تلك الترسخانة مئات العمال الأوربيين والتونسيين[71]

كذلك تم إنشاء مستودعات في حلق الوادي تحت إشراف المهندس الفرنسي شارل كبيسول (Sharles Cubisol) عام 1841،وقد أهدى أمير اللواء محمود بن عياد أول سفينة تجارية إلى أحمد باي تسمى بفرنسا زافير (Zeohyr) واطلق عليها اسم بن زايد اشتراها من فرنسا بمبلغ مالي 500,000 فرنك فرنسي أي ما يعادل حوالي 840,000 ريال، لكنها لم تعمر طويلاً إذ غرقت في شاطئ المعمورة بالوطن القبلي، وهي عائدة من مالطة نتيجة رداءة الأحوال الجوية ولم يفلح الملاحون في إنقاذها[72].

صنعت فرقاطة حربية من الطراز الرفيع في ترسخانة حلق الوادي بمساعدة فنية وتحت إشراف المهندس قاسباري (Gasparry) المسؤول عن الإنشاءات البحرية في الإيالة في 9 أيار 1840 واستمر بناءها ثلاث سنوات، كذلك اهدى أحمد باي عام 1842 للسلطان العثماني عبد المجيد الأول عام 1842 كرويطه (Cirrette) مجهزة بمدافعها وسائر ما يلزمها وهي مصنعة في تونس[73].

تولى قيادة أغلب السفن ضباط من البحرية التونسية، وساعدهم ضباط من البحرية الفرنسية إذ كان جميع الطواقم من التونسيين باستثناء الميكانيكيين الذين كانوا فرنسيين، ولكن لا يمكن لأية باخرة من الإبحار من دون أن يكون على متنها ربان أوربي[74].

كان أحمد باي يأمل في بناء بحرية حربية بالسفن البخارية، فقام بشراء من فرنسا سفينتين شارلماني (Cgarlemagne) والأفريقي (Afriqain) ومن إيطاليا، توسكانا (Toscana) واطلق أسماء على هذه

السفن ب"الباجي" و"المنصور" و"البشير"، وكانت تعد قوةً أو نواة للبحرية التونسية وأستقر تواجدها بالموانئ التونسية ثم أتبع ذلك شراء طرد بخاري اطلق عليهِ أسم الصادقية وسفينة أخرى أطلق عليها أسم الأسد استعملها يختاً ملكياً خاصاً للباي التونسي[75].

حاول أحمد باي جاهداً بناء أسطول تونسي حديث من خلال إقامة مصنع لإنشاء السفن في حلق الوادي وشراءه العديد من السفن ومحاولته لإعادة صيانة ميناء غار الملح الذي سعى أن يجعله شبيهاً بميناء طولون (Toulon) الفرنسي، وقام بإصلاح وترميم عدة موانئ وإنشاء مستودعات ملأها بالآلات والذخائر الحربية، ومع ذلك بقيت البحرية التونسية تشكو نقصاً واضحاً في عدد المراكب الحربية وحتى التجارية، وكان ذلك بسبب سوء الأوضاع المالية التي أثرت على تسليح الوحدات البحرية الحربية، فضلاً عن بلوغ أعداد القوات البحرية بحدود 1,500 جندياً وقد هرب ما يزيد على (200) جندياً من جنود البحرية، بسبب تلكؤ المرتبات على الرغم من الأوامر المشددة التي أصدرها أحمد باي والجهود المضنية التي بذلت لإعادة الهاربين إلى وحداتهم[76].

كانت قيادة الوحدات البحرية غالباً بيد الضباط الأجانب، أما الضباط التونسيون فاقتصرت مهماتهم على حفظ الأمن بين الجنود ومنعهم من الهروب وبصورة عامة بقيت البحرية التونسية متأخرة وبقيت نشاطات السفن فيها مقتصرة على نقل المؤن وعلى رحلات عبر البحر المتوسط لنقل المبعوثين أو الحجاج التونسيين ويعزى الفشل لأسباب بعضها تقنية وأخرى مالية والبعض الأخر أخطاء ارتكبها الباي نفسه[77].

سادساً: أثر الإصلاحات العسكرية على تونس

إن ما بذله أحمد باي من جهود في سبيل تكوين جيش لا يمكن تغافلها، إلاَّ أنَّه بالرغم من تلك الجهود فإنه لم يصل إلى نتيجة مرضية بل لا نبالغ إذا ما قلنا أن الجيش التونسي بقي بعيداً عن المستوى الذي يمكن أن يقوم بدور فعال في حماية البلاد مع بلوغ أعداد وصنوف الجيش بشكل مقبول من حيث الكم، ولكن على مستوى النوع والأمور الفنية والصناعية لا يمكن مقارنته مع الجيوش الأخرى، فبدأ الهرب من الجيش ولم يبقى إلاَّ بحدود عشرة آلاف جندي في كل الفرق بعد أن عجزت خزينة البلاد عن توفير الغذاء والرواتب والملابس للجنود النظاميين نتيجة الإنفاق غير المحدود على مشاريع متنوعة كانت أكبر من الموارد المحدودة للدولة[78].

كانت هناك عدة نقاط سلبية في مشروع إصلاح وتحديث الجيش ومنها افتقاره إلى قانون تنظيم انتداب الجنود أو تحديد الخدمة العسكرية، فطريقة التجنيد التي اتبعها أحمد باي لا تشبه ما هو معمول به بالدولة العثمانية ولا في غيرها من الدول، فأثر ذلك على الأقبال في الانخراط في الجيش إذ إنَّ طريقة أحمد باي في اختيار الجنود كانت تتم عن طريق إرسال الضباط إلى المناطق الحضرية كي يسجلون من يرونه صالحاً للجندية[79]، حتى الاكتفاء والمشكلة أن الاكتفاء نفسه غير معروف أو فوق طاقة المكان، وكانت تلك الطريقة يشوبها الظلم والإجحاف وأقل ما يقال عنها أنها تتجه إلى منطقة من دون أخرى

وليس لها مقياس في اختيار الجندي سوى صحته الظاهرية والأمر كان خاضع لإدارة الباي والضباط المكلفين، فأساءت هذه الطريقة في التجنيد للعمل الإصلاحي وهو ما يدل على أن ما قام به ليس خاضعاً لتخطيط أو هدف مدروس في بناء جيش له أطره وأسسه القانونية، وقد أصبحت هذه الطريقة مصدر قلق وخوف للمواطنين ولم يكن الخوف من الجندية وحسب بل أيضاً من عدم وضوح مدة الخدمة في الجيش وعدم مراعاة الظروف الإنسانية إلا بقدر ضئيل[80].

انعكست تلك الطريقة غير النظامية على الحياة الاقتصادية لاسيما على المجال الزراعي إذ افتقرت إلى اليد العاملة، بعد تجنيد القادرين على العمل في هذا المجال ولم يكن عودة أولئك الجنود لأهلهم وأعمالهم منتظراً في يوم قريب إلا بإجازة لا يعرف تأريخها، وقد لا تمنح وهو ما أسهم من دون أدنى شك في عملية الهروب من الثكنات العسكرية، ولاسيما في مواسم الحصاد[81]، وإذا كان أحمد باي قد تنبه بعد مدة إلى فكرة العوض بعد هرب الجنود من المعسكرات وتكاثر العجز في الجند فإنه لم ينتبه لتقييد ذلك بقانون خاص بالتعويض بل تم الأمر بالطريقة نفسها من الاختيار، وكان العمل في الظروف السيئة مع طول المدة في الجندية، وقد جعل الناس ينفرون من ذلك حتى أصبح الالتحاق بالجيش كأنه ذاهب إلى السجن أو الموت[82]، أما السلبية الثانية فهي ضعف التجهيزات الضرورية للجيش مع أن أحمد باي قد قام بعملية موازية في توفيرها إلاَّ أنَّ تلك التجهيزات كانت غالباً إطاراً خارجياً أكثر منه عملاً ثابتاً، فلطالما وقعت تلك الثكنات تحت وطأة الجوع أو تأخر الرواتب، أما تجهيزات الموانئ فكانت فوق طاقة الدولة المادية[83] وإن ما تم جمعه من القطع البحرية الصغيرة غير قادرة حتى على تلبية حاجيات الجيش الضرورية من نقل الجنود أو حمل المؤونة للأبراج والمدن البعيدة وليس بإمكان تلك القطع الضعيفة التسليح حتى أن تقترب من الأساطيل العملاقة المتواجدة في سواحل تونس[84]، أما المصانع التي أقامها الباي والتي كانت تخص السلاح والذخيرة الحربية، فكانت لا تستطيع توفير ما يحتاجه الجيش، فضلاً عن أنها لم تستمر بالإنتاج وتوقفت بعد مدة قصيرة من عملها، لذلك اعتمد التسليح على الاستيراد من أوربا التي كانت تبيع لتونس أسلحة قديمة وباهظة الثمن وغير صالحة للعمل في الغالب وانكشف ضعف هذه التجهيزات جميعها من خلال العديد من الاختبارات التي حصلت للجيش التونسي[85].

كانت من أبرز التحديات التي واجهت أحمد باي في عملية التحديث للجيش أن تونس كانت تفتقر للصناعات العسكرية مما اضطره لشراء مصانع كان يشرف عليها ضباط فرنسيين مما جعل قراره السياسي والعسكري رهن فرنسا وهذا بحد ذاته يجعله مكبل اليدين ولا يستطيع اتخاذ أي قرار إلا بمشورة فرنسا، فضلاً عن أنه كان في البداية يتحمل جزء من التقصير من خلال تصرفه الارتجالي وتوسعه في المشاريع والإنفاق من دون حدود مما أحدث أزمة اقتصادية حقيقية في تونس جعل الكثير من التونسيين يتساءل ؟ هل تونس بحاجة لقوات مسلحة أو لجيش كبير ولاسيما أن تونس أصبحت محاطة بجارين يمتلكان قوة عسكرية كبيرة وهما فرنسا التي احتلت الجزائر والمتاخم جيشها على الحدود الغربية لتونس والدولة العثمانية المتاخم جيشها في طرابلس الواقعة جنوب شرق تونس وهل يستطيع الجيش التونسي أن يصمد ولو لوقت قصير أمام هجوم قد يشنه العثمانيون أو الفرنسيون من البر والبحر[86].

الخاتمة

1- إن ما بذله أحمد باي من جهد في سبيل تكوين جيش جديد لا يمكن أن يخفى على الرغم من الجهود الحثيثة التي سعى لها في تكوين جيش عصري حديث مدرب على يد ضباط أوربيين، إلاَّ أنه لم يحقق نتائج مرضية، لأسباب أهمها عجز خزينة البلاد عن توفير متطلبات الجيش النظامي، بسبب الإنفاق غير المحدود على المشاريع غير الإنتاجية، فضلاً عن افتقار الجيش إلى قانون ينظمه سواءً في اختيار الجنود أو تحديد هذه الخدمة، فكان عشوائياً غير منظم مما نفر الناس من الجندية وأساء لعمله الإصلاحي ثم ضعف التجهيزات الضرورية للجيش النظامي على الرغم من قيامه بعملية موازية لإيجادها إلاَّ أنَّ هذه التجهيزات بقيت في إطارها النظري، فكان الأسطول ضعيفاً غير قادر على نقل الجنود والمؤن للأبراج والمدن البعيدة، وعجزت المصانع عن صنع الأسلحة وتوفيرها للجيش حتى تم إغلاقها بعد مدة قصيرة من عملها، واعتمد على التسليح الأوربي التي كانت تورد أسلحة تالفة بأسعار عالية.

2- جرت إجراءات تحديث الجيش من قبل أحمد باي، تحت إشراف ضباط فرنسين وهدفت إلى جعل تونس دولة قوية عسكرياً بهدف الاستعداد لإعلان استقلاله عن الدولة العثمانية بدعم من فرنسا التي كان هدفها من هذا الدعم أبعاد تونس عن الدولة العثمانية ومن ثم السيطرة على تونس سياسياً واقتصاديا تمهيداً للسيطرة العسكرية .

3- انحصر تفكير أحمد باي بتقوية جيشه وزيادة أعداده باستمرار وتحت أي ظرف من دون أن يلتفت إلى حالة البلاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والصحية، فلم يأخذ من الإدارة والاقتصاد إلا بما يتعلق بالضرائب ومضاعفاتها على السكان فدفع الفلاح إلى إهمال أرضه لعدم جني أي فائدة من عملهُ فيها، على الرغم من اعتماد الدولة شبه التام على محاصيلها ومردوداتها الضريبية مما أوجد خلل واضح في الوضع العام في تونس وأثر سلباً على الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

4- كان تأسيس المدرسة الحربية في باردو حدثاً مفصلياً في تأريخ تونس لما لها مكانة كبيرة ومتميزة في الإسهام في تأسيس قواعد أساسية للجيش التونسي وتخريج ضباط كفوئين فيها على مستوى عالٍ من المهنية، لاسيما وأن أغلب أساتذة هذهِ المدرسة هم من الضباط الفرنسيين.

5- حاول أحمد باي بنية صادقة أن يبني دولة متحضرة وقوية تتمتع بالسيادة والاستقلال، لكنه في الحقيقة كان أضعف وأقل موهبة من أن يقوم بذلك العمل الضخم بمفرده، فكانت فكرة بعث وطن تونسي بدأت تظهر في عهده، ولكن لم يعمل على توفير مؤسسات دولة حقيقية تحمي السكان وتعالج مشاكلهم وأوضاعهم وانحصر تفكيره على تقوية جيشه وزيادة أعداده تحت أي ظرف، ولا ننسى أيضاً الضغوط الخارجية التي حددت توجهاته ومشاريعه، كان العامل الأكثر أهمية هو أن الهوة توسعت بينه وبين الشعب التونسي، بسبب نظام الضرائب المجحف الذي كان متبعاً ألذي أنهك الشعب التونسي وسبب له ويلات وآلام، وعلى الرغم من مجهودات التحديث الواضحة والإنفاق

الكبير كانت النتائج مخيبة للآمال، بسبب القصور السياسي وعدم وجود بعد نظر في إدارة الدولة، وهشاشة المشاريع التحديثية .

الهوامش

(1) حسين بن محمود باي: ثامن بايات تونس، ولد في 4 آذار 1784، تسلم الحكم في 28 آذار 1824، شهدت مدة حكمه تحديات عديدة لتونس أبرزها الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830، الأمر الذي أدى إلى عقد معاهدة تجارية مع فرنسا كانت النواة الأولى لتغلغل النفوذ الفرنسي في تونس. توفي في 2 ايار 1835. أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، الدار العربية للكتاب، 1999، ص183.

(2) مصطفى باي: تاسع بايات تونس، ولد في آب 1787، أصبح بایاً على تونس وبويع البيعة الخاصة في 20 ايار 1835، شهد عهده التخلص من الرجل الموالي للدولة العثمانية الوزير الأكبر شاكير صاحب الطابع، وبرز في عهده ابنه أحمد باي، توفي في 10 تشرين الأول 1837. المصدر نفسه، ج3، ص197.

(3) أحمد بن مصطفى: وهو أحمد باي عاشر بايات تونس بن مصطفى باي ولد في 2 أيلول 1806 عاش في قصر باردو تعلم عدة لغات عندما تولى أبوه مصطفى باي الحكم عام 1835 أصبح قائداً للجيش ومتنفذاً وصاحب قرار في تونس تمكن من إزاحة خصمه شاكير صاحب الطابع وقتله وكان فكره يهدف إلى استقلال تونس بشكل نهائي عن الدولة العثمانية أصبح بایاً على تونس في 10 تشرين الأول 1837 إذ قام بعدة إصلاحات عسكرية وسياسية وأراد أن يضع تونس في مصاف الدول المتقدمة إلاَّ أنَّ الأزمة المالية التي عصفت في تونس عام 1852 قضت على أحلامه في مشروعاته، شارك مع العثمانيين في حرب القرم عام 1854، توفي في 30 أيار 1855، للمزيد من التفاصيل ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص11-166.

(4) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، إسطنبول، مؤسسة فيصل للتمويل، 1990، ج2، ص451.

(5) حسين جبار إبراهيم، إيالة تونس في عهد أحمد باشا باي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2017، ص84.

(6) الشيباني بنبلغيث، أضواء على التاريخ العسكري في تونس 1837- 1917، صفاقس، دار نهى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص39- 40.

(7) لطفي بو علي، التحديث العسكري قراءة ميكروتاريخية في التجربة التونسية (1830-1881)، تونس، سوتيميديا للنشر والتوزيع، ط1، 2019، ص89.

(8) محجوب السميراني، الجيش التونسي (1831-1881)، رافد نهضة وإصلاح، تونس، سوتيميديا للنشر والتوزيع، 2017، ص95- 96.

(9) أحمد بن عامر، تونس عبر التاريخ من اقدم العصور إلى إعلان الجمهورية، تونس، مكتبة النجاح، 1960، ص276.

(10) أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص230.

(11) محجوب السيمراني، المصدر السابق، ص96- 97.

(12) الشيباني بنبلغيث، المصدر السابق، ص18.

(13) محجوب السيمراني، المصدر السابق، ص97.

(14) رفيق سعيد، السياسة الثقافية في تونس، باريس، عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، 1980، ص13.

(15) محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، بيروت، دار صادر، 1885، ج1، ص110؛ فان كريكن، خير الدين والبلاد التونسية 1850- 1881، ترجمة: البشير بن سلامة، تونس، دار سحنون، 1988، ص11-20.

(16) عبدالجليل التميمي، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق 1859-1882، تونس، جامعة صفاقس، 1995، ص49-51.

(17) محجوب السيمراني، المصدر السابق، ص99- 102.

(18) المحمدية: تقع بلدة المحمدية في الطريق الرئيس على بعد 14 كم عن العاصمة تونس, سميت باسم المحمدية تبركاً باسم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) خلال القرن الرابع الهجري, فقد كان اسمها طبندة فهو الصيغة العربية لاسم البلدة البربية محرفاً عن اسم الاله وقد ارتبطت طبندة بالفاتح العربي حسان بن النعمان لتوقفه فيها عام 84هـ أقام أحمد باي قصر فيها شيده عام 1843 على غرار قصر فرساي, بداية الانفصال عن الدولة العثمانية والأخذ بأسباب النهضة الأوربية. آمنة إبراهيم أبو حجر, موسوعة المدن العربية, عمان, دار أسامة للنشر, 2002, ص106-107.

(19) الشيباني بنبلغيث، المصدر السابق، 20- 21.

(20) الحبيب بولعراس، تاريخ تونس أهم التواريخ والأحداث من عصور ما قبل التاريخ حتى الثورة، تقديم: الصادق بن مهني، تونس، دار سراس للنشر، 2015، ص44.

(21) محجوب السيمراني، المصدر السابق، ص102- 103.

(22) حسين جبار إبراهيم، المصدر السابق، ص85- 86؛ رشاد الإمام، التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور عهد الأمان، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢، ص161- 162.

(23) محجوب السيمراني، المصدر السابق، ص104- 105.

(24) عبدالجليل التميمي، المصدر السابق ص51.

(25) الشيباني بنبلغيث، المصدر السابق، ص19.

(26) الشيباني بنلغيث، إصلاحات المشير أحمد باي العسكرية (1837-1855)، المجلة التاريخية المغربية، عدد 65-66، زغوان، 1992، ص15-17.

(27) عبد الجليل التميمي، المصدر السابق، ص51- 53.

(28) الشيباني بنبلغيث، المصدر السابق، ص40- 44.

(29) المصدر نفسه، ص40- 44.

(30) محجوب السيمراني، المصدر السابق، ص109.

(31) محمود بن عياد: ولد في تونس في جربة عام 1805 وهو رجل أعمال تونسي وعمل لحساب تونس في عهد البايات وكانت تربطه علاقات متينة في بلاط باردو، فضلاً عن أنه كان وكيلاً للتجار الفرنسيين، وكان المسؤول الأول عن تجهيز تونس بالمؤن والمستلزمات العسكرية والغذائية والمسؤول عن التصدير وفي عام 1847 تولى منصب قابض مال الدولة التونسية وعمل ثروة طائلة من خلال اللزم التي كان يحصل عليها من الباي ويكتسب منها أموالا كثيرة وأصبح مكلف بتجهيز العسكر، فضلاً عن تكليفه بجمع ضريبة العشر عن الحبوب، فجمع أموالاً طائلة بما يقارب 60 مليون فرنك، وهرب بها إلى فرنسا، توفي في العاصمة العثمانية اسطنبول عام 1880. محمد الأزهر الغربي، محمود بن عياد وثروته 1810-1880، نموذج لثروة العائلات المخزونة في القرن التاسع عشر، أطروحة دكتوراه، تونس، جامعة تونس، 2013، ص45-55.

(32) السلطان عبد المجيد الأول: بن محمود الثاني، وهو السلطان الحادي والثلاثون للدولة العثمانية، ولد في 25 نيسان 1823، تولى الخلافة عام 1839 وعمر ستة عشر عاماً واجه تحديات عديدة أبرزها دخول الدولة العثمانية حرب القرم 1853-1865، وشهد عهده إصدار خطي شريف كولخانة عام 1839، وهمايون 1856، انتهت مدة حكمه بوفاته في 26 حزيران 1861. للمزيد ينظر: شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، بيروت، دار ابن كثير، دار التربية، ط1، 2001، ص288-297.

(33) عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2009، ص550.

(34) الشيباني بنبلغيث، المصدر السابق، ص16.

(35) حسين جبار إبراهيم، المصدر السابق، ص85-86.

(36) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج4، ص296.

(37) المصدر نفسه، ج8، ص80.

(38) إحسان حقي تونس العربية بيروت دار الثقافة الطباعة والنشر، ١٩٦١.

(39) حسين جبار إبراهيم، مصدر السابق، ص87- 88.

(40) مصطفى البهلوان: مبعوث تونس إلى العاصمة العثمانية اسطنبول عام 1837 من طرف أحمد باي لطلب فرمان التولية، أعيد إرساله مرة ثانية عام 1839 لتعزية السلطان محمود الثاني بوفاة والدته، ثم بعث عام 1840 لطلب لقب المشير لأحمد باي. مبروكة الصغير، المراسلات المتبادلة بين إيالة تونس والسلطة العثمانية خلال القرن 19 (1806- 1880) جرد وتحليل، رسالة ماجستير (غير منشورة)، تونس، جامعة تونس، 2016، ص18.

(41) الحبيب بولعراس، المصدر السابق، ص443.

(42) الشيباني بنبلغيث، المصدر السابق، ص24- 25.

(43) حسين جبار إبراهيم، المصدر السابق، ص90.

(44) علي المحجوبي، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت في اليابان، تونس، دار سراس للنشر، ط1، 1999، ص86.

(45) الجمهورية التونسية، وزارة الدفاع الوطني، أعمال ندوة تاريخ التحصينات بالبلاد التونسية 4 و 5 و6 تشرين الأول 1999، تونس، إدارة العمل الاجتماعي والثقافي، تموز 2001، ص124-125.

(46) الهادي التيمومي، انتفاضات الفلاحين في تأريخ تونس مثال 1906، تونس، بيت الحكمة، 1993، ص21- 22.

(47) أحمد بن عامر، المصدر السابق، ص277- 278.

(48) لويجي كاليغاريس: ولد في بيريانيا بالبيومنت 1808 بعد أن عمل في الجيش التركي، أصبح مديراً للمدرسة الحربية التونسية برتبة عقيد، وقد غادرها عام 1850 ليتفرغ لدراسة اللغة العربية، وأصبح أستاذاً للغة العربية العامية في جامعة تورنو عام 1863، توفي عام 1871. جان قانياج، أصول الحماية الفرنسية على تونس 1861- 1881، ترجمة: عادل بن يوسف، محمد محسن البواب، مراجعة: أحمد خالد، تقديم: محمد عامرة عذيره، تونس، البرق للنشر والتوزيع، 2012، ص105.

(49) حسين جبار إبراهيم، المصدر السابق، ص91- 92.

(50) الحبيب الجنحاني، الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تونس، حوليات الجامعة التونسية، العدد 6، 1969، ص119-120.

(51) خير الدين التونسي: ولد خير الدين التونسي في عام 1820 وهو مملوك اشترى لحساب أحمد باي وترعرع في قصره وانخرط عام 1840 في سلك الفرسان ثم درس القانون وتمكن من إعادة قسم من الأموال المسروقة في قضية محمود بن عياد 1853 ثم نصب وزيراً للبحر عام 1857 وأصبح رئيس المجلس الأكبر عام 1861 وأثناء إقامته في فرنسا لأعوام، بسبب قضية محمود بن عياد تعلم اللغة الفرنسية، فضلاً عن زياراته للدولة العثمانية وفرنسا، فزار أكثر من 18 بلداً أوربياً واختلط = بكبار الملوك والرؤساء والوزراء، أصبح وزيراً أكبر عام 1873 دعاه السلطان عبد الحميد الثاني ليصبح صدر أعظم عام 1877 بعد عام توفي في إسطنبول عام 1890. للمزيد من التفاصيل ينظر: حسين جبار إبراهيم، خير الدين التونسي ودوره الإصلاحي وتأثيره الفكري 1839- 1890، بغداد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، 2012، ص23-27.

(52) رشاد الإمام، المصدر السابق، ص46.

(53) عبدالجليل التميمي، المصدر السابق، ص56- 57.

(54) الشيباني بنبلغيث، المصدر السابق، ص24- 28.

(55) Mzali. M. S .J. Pigonon, Documents Sur Kheredine- Ames Enfants, Memoires De Ms vie Privee Et Poltique, Revue Tunisenne, No 18, 1934. P. 19.

(56) حسين جبار إبراهيم، إيالة تونس، ص93.

(57) Boubaker (sadek), Laregewce de Tunis oru Xviieme siècle ses relations comer ciovles are cles ports de I'Europe Mediterraneeme: Marseille et Livourwt, Cemtre D'etudes et de recherché ottomans et morisco Andalous ceroma, Zaghoun 1971.PP. 292-293.

(58) رشاد الإمام، المصدر السابق، ص169- 170.

(59) الشيباني بنبلغيث، المصدر السابق، ص23- 24.

(60) أحمد بن أبي ضياف، المصدر السابق، ج4، ص37.

(61) محمود عبد المولى، تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، 1979، ص18-20.

(62) المصدر نفسه، ص21.

(63) Khalifa Chter, Dependence Et Mutation Precoloniales, La Regence De Tunis De 1815-1857, Tunis, 1914. P.510.

(64) الشيباني بنبلغيث، المصدر السابق، ص29.

(65) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج4، ص56- 57.

(66) مرت المدرسة الحربية بباردو بمراحل عديدة منذ تأسيسها امتدت المرحلة الأولى من عام 1840-1854، وكانت تحت إشراف إدارة إيطالية ممثلة بشخص كاليغارس انتهت هذه المرحلة بوفاة أحمد باي في 30 ايار 1850، أما المرحلة الثانية بدأت فيها المدرسة بفتح أبوابها في تشرين الثاني 1855، وتولى إدارتها الضابط الفرنسي دي تافارن والكابتن كمبيون حتى عام 1865، أما المرحلة الأخيرة فكانت قد بدأت بعد القضاء على ثورة علي بن غذاهم، وقد أدارها ضباط تونسيين وتميزت هذا تلك المرحلة بصعوبة الظروف المالية للدولة التونسية إذ تقلص فيها عدد الخريجين، وتم إغلاق المدرسة الحربية بباردو عام 1869 بعد إعلان لجنة الكومسيون المالي على تونس وإعلان حالة التقشف في تونس والتقليل في النفقات. للمزيد من التفاصيل عن النظام الإداري والتعليمي للمدرسة الحربية بباردو. ينظر: الجمهورية التونسية، المصدر السابق، ص123-177.

(67) إحسان حقي، المصدر السابق، ص117.

(68) الشيباني بنبلغيث، إصلاحات المشير أحمد، ص17-18.

(69) Brown, OP. Cit., PP. 299-303.

(70) إبراهيم أحمد محمد الشياب، الحياة السياسية في تونس (1857-1881)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، الأردن، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 1998، ص33.

(71) محجوب السيمراني، المصدر السابق، ص160.

(72) محمد الحماص، حركة التصنيع في عهد أحمد باي (1837-1855)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، تونس، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنساني، 1993، ص63-65.

(73) استغل أحمد باي زيارته إلى فرنسا عام 1846، فطلب من الحكومة الفرنسية أن تضع على ذمتهُ ضباط بحرية ليتكفلوا بقيادة الأسطول البحري التونسي وتدريب رجالهُ، وذلك إلى جانب البعثة العسكرية المكلفة بتدريب الجيش

النظامي واستجابت فرنسا لطلبه، فأرسلت عام 1847 العقيد بالبحرية ميدوني (Medoni) وكذلك أرسلت المقدم بالبحرية الفرنسية ألياز (Alliez). محجوب السيمراني، المصدر السابق، ص162- 163.

(74) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج4، ص143.

(75) محجوب السيمراني، المصدر السابق، ص164.

(76) حسين جبار إبراهيم، إيالة تونس، ص95- 96.

(77) الشيباني بنبلغيث، أضواء على التاريخ العسكري، ص21- 22.

(78) المصدر نفسه، ص35.

(79) عبد الله العروي، المصدر السابق، ص550.

(80) الهادي التيمومي، تونس والتحديث، ص76.

(81) Kenneth Perkins,Tunisia Cross roads Of the Islamic and European Worids, U.S.A, 1968.P.71.

(82) الشيباني بنبلغيث، أضواء على التاريخ العسكري، ص36.

(83) أحمد بن أبي الضياف، ج4، ص143- 144.

(84) الشيباني بنبلغيث، أضواء على التاريخ العسكري، ص36- 37.

(85) الشيباني بنبلغيث، إصلاحات المشير أحمد، ص24-25.

(86) حسين جبار إبراهيم، إيالة تونس، ص104- 105.

1. Boubaker (sadek), Laregewce de Tunis oru Xviieme siècle ses relations comer ciovles are cles ports de I'Europe Mediterraneeme: Marseille et Livourwt, Cemtre D'etudes et de recherché ottomans et morisco Andalous ceroma, Zaghoun 1971.
2. Kenneth Perkins,Tunisia Cross roads Of the Islamic and European Worids, U.S.A, 1968.
3. Khalifa Chter, Dependence Et Mutation Precoloniales, La Regence De Tunis De 1815-1857, Tunis, 1914.
4. Mzali. M. S .J. Pigonon, Documents Sur Kheredine- Ames Enfants, Memoires De Ms vie Privee Et Poltique, Revue Tunisenne, No 18, 1934.
5. إبراهيم أحمد محمد الشياب، الحياة السياسية في تونس (1857-1881)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، الأردن، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 1998.
6. إحسان حقي تونس العربية بيروت دار الثقافة الطباعة والنشر، ١٩٦١.
7. أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، الدار العربية للكتاب، 1999.
8. أحمد بن عامر، تونس عبر التاريخ من اقدم العصور إلى إعلان الجمهورية، تونس، مكتبة النجاح، 1960.
9. آمنة إبراهيم أبو حجر, موسوعة المدن العربية, عمان, دار أسامة للنشر, 2002.
10. جان قانياج، أصول الحماية الفرنسية على تونس 1861- 1881، ترجمة: عادل بن يوسف، محمد محسن البواب، مراجعة: أحمد خالد، تقديم: محمد عامرة عذيره، تونس، البرق للنشر والتوزيع، 2012.
11. الجمهورية التونسية، وزارة الدفاع الوطني، أعمال ندوة تاريخ التحصينات بالبلاد التونسية 4 و 5 و6 تشرين الأول 1999، تونس، إدارة العمل الاجتماعي والثقافي، تموز 2001.
12. الحبيب الجنحاني، الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تونس، حوليات الجامعة التونسية، العدد 6، 1969.

13. الحبيب بولعراس، تاريخ تونس أهم التواريخ والأحداث من عصور ما قبل التاريخ حتى الثورة، تقديم: الصادق بن مهني، تونس، دار سراس للنشر، 2015.
14. حسين جبار إبراهيم، إيالة تونس في عهد أحمد باشا باي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2017.
15. حسين جبار إبراهيم، خير الدين التونسي ودوره الإصلاحي وتأثيره الفكري 1839- 1890، بغداد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، 2012.
16. رشاد الإمام، التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور عهد الأمان، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢.
17. رفيق سعيد، السياسة الثقافية في تونس، باريس، عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، 1980.
18. شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، بيروت، دار ابن كثير، دار التربية، ط1، 2001.
19. الشيباني بنبلغيث، إصلاحات المشير أحمد باي العسكرية (1837-1855)، المجلة التاريخية المغربية، عدد 65-66، زغوان، 1992.
20. الشيباني بنبلغيث، أضواء على التاريخ العسكري في تونس 1837- 1917، صفاقس، دار نهى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003.
21. عبدالجليل التميمي، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق 1859-1882، تونس، جامعة صفاقس، 1995.
22. عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2009.
23. علي المحجوبي، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت في اليابان، تونس، دار سراس للنشر، ط1، 1999.
24. فان كريكن، خير الدين والبلاد التونسية 1850- 1881، ترجمة: البشير بن سلامة، تونس، دار سحنون، 1988.
25. لطفي بو علي، التحديث العسكري قراءة ميكروتاريخية في التجربة التونسية (1830-1881)، تونس، سوتيميديا للنشر والتوزيع، ط1، 2019.
26. مبروكة الصغير، المراسلات المتبادلة بين إيالة تونس والسلطة العثمانية خلال القرن 19 (1806- 1880) جرد وتحليل، رسالة ماجستير (غير منشورة)، تونس، جامعة تونس، 2016.
27. محجوب السميراني، الجيش التونسي (1831-1881)، رافد نهضة وإصلاح، تونس، سوتيميديا للنشر والتوزيع، 2017.
28. محمد الأزهر الغربي، محمود بن عياد وثروته 1810-1880، نموذج لثروة العائلات المخزونة في القرن التاسع عشر، أطروحة دكتوراه، تونس، جامعة تونس، 2013.
29. محمد الحماص، حركة التصنيع في عهد أحمد باي (1837-1855)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، تونس، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنساني، 1993.
30. محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، بيروت، دار صادر، 1885، ج1.
31. محمود عبد المولى، تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، 1979.
32. الهادي التيمومي، انتفاضات الفلاحين في تأريخ تونس مثال 1906، تونس، بيت الحكمة، 1993.
33. الهادي التيمومي، تونس والتحديث، (1831- 1877) أول دستور في العالم الإسلامي، تونس، دار محمد علي للنشر، ط1، 2010.

34.يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، إسطنبول، مؤسسة فيصل للتمويل، 1990، ج2.

المصادر باللغة الانكليزية

1. Boubaker (sadek), Laregewce de Tunis oru Xviieme siècle ses relations comer ciovles are cles ports de I'Europe Mediterraneeme: Marseille et Livourwt, Cemtre D'etudes et de recherché ottomans et morisco Andalous ceroma, Zaghoun 1971.
2. Kenneth Perkins,Tunisia Cross roads Of the Islamic and European Worids, U.S.A, 1968.
3. Khalifa Chter, Dependence Et Mutation Precoloniales, La Regence De Tunis De 1815-1857, Tunis, 1914.
4. Mzali. M. S .J. Pigonon, Documents Sur Kheredine- Ames Enfants, Memoires De Ms vie Privee Et Poltique, Revue Tunisenne, No 18, 1934.
5. Ibrahim Ahmad Muhammad Al-Shayab, Political Life in Tunisia (1857-1881), PhD thesis (unpublished), Jordan, University of Jordan, College of Graduate Studies, 1998.
6. Ihssan Haqqi Tunisia Arab Beirut House of Culture, printing and publishing, 1961.
7. Ahmed bin Abi Al-Diaf, The People of Time's Association with the News of the Kings of Tunisia and the Covenant of Safety, Tunisia, Arab Book House, 1999.
8. Ahmed Ben Amer, Tunisia Throughout History from the Earliest Times to the Proclamation of the Republic, Tunisia, An-Najah Library, 1960.
9. Amna Ibrahim Abu Hajar, Encyclopedia of Arab Cities, Amman, Usama Publishing House, 2002.
10. Jean Ganij, The Origins of the French Protectorate over Tunisia 1861-1881, translated by: Adel Ben Youssef, Mohamed Mohsen El-Bawab, Revision by: Ahmed Khaled, Presented by: Mohamed Amira Azira, Tunisia, Al-Barq for Publishing and Distribution, 2012.
11. The Republic of Tunisia, Ministry of National Defense, the proceedings of the symposium on the history of fortifications in Tunisia 4, 5 and 6 October 1999, Tunisia, Department of Social and Cultural Work, July 2001.
12. Habib Al-Janhani, The Reform Movement in Tunisia during the Second Half of the Nineteenth Century, Tunisia, Annals of the Tunisian University, No. 6, 1969.
13. Habib Boularras, History of Tunisia, the most important dates and events from prehistoric times until the revolution, submitted by: Sadiq Ben Mhenni, Tunis, Sras Publishing House, 2015.
14. Hussein Jabbar Ibrahim, Ayala, Tunisia during the reign of Ahmed Pasha Bey, Beirut, Center for Arab Unity Studies, 1st Edition, 2017.
15. Hussein Jabbar Ibrahim, Khair al-Din al-Tunisi and his reformist role and intellectual influence 1839-1890, Baghdad, MA (unpublished), Institute of Arab History and Scientific Heritage, 2012.
16. Rashad Al-Imam, Reform Thinking in Tunisia in the Nineteenth Century until the promulgation of the Aman era, Tunisia, Sahnoun House for Publishing and Distribution, 1st Edition, 2012.
17. Rafic Said, Cultural Policy in Tunis, Paris, for the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 1980.
18. Shakib Arslan, History of the Ottoman Empire, Beirut, Dar Ibn Katheer, Dar Al-Tarbiah, 1st Edition, 2001.
19. Al-Shaibani Benbalgheeth, Field Marshal Ahmed Bey's Military Reforms (1837-1855), The Moroccan Historical Journal, Issue 65-66, Zaghouan, 1992.
20. Al-Shaibani Benbalgheeth, Spotlight on Military History in Tunisia 1837-1917, Sfax, Dar Noha for Printing, Publishing and Distribution, Edition 1, 2003.
21. Abdul Jalil Al-Tamimi, The Tunisian Army during the Reign of Muhammad Al-Sadiq 1859-1882, Tunis, Sfax University, 1995.

22. Abdullah Laroui, The Whole History of Morocco, Casablanca, Arab Cultural Center, 2nd Edition, 2009.
23. Ali Al-Mahjoubi, The Modern Renaissance in the Nineteenth Century: Why It Failed in Egypt and Tunisia and Succeeded in Japan, Tunisia, Sras Publishing House, 1st Edition, 1999.
24. Van Creiken, Khair El Din and Tunisia 1850-1881, translated by: Bashir Ben Salama, Tunis, Dar Sahnoun, 1988.
25. Lotfi Bou Ali, The Military Modernization, A Micro-historical Reading of the Tunisian Experience (1830-1881), Tunisia, Sotimmedia for Publishing and Distribution, 1st Edition, 2019.
26. Mabrouka Al-Saghir, Correspondence between the Ayala of Tunisia and the Ottoman Authority during the 19th Century (1806-1880), Inventory and Analysis, Master Thesis (unpublished), Tunis, University of Tunis, 2016.
27. Mahjoub Smirani, The Tunisian Army (1831-1881), Tributary of Renaissance and Reform, Tunisia, Sotemedia Publishing and Distribution, 2017.
28. Muhammad al-Azhar al-Gharbi, Mahmoud ibn Ayyad and his wealth 1810-1880, a model of the stored family wealth in the nineteenth century, PhD thesis, Tunis, University of Tunis, 2013.
29. Muhammad Al-Hammas, The Industrialization Movement during the Reign of Ahmed Bey (1837-1855), PhD thesis (unpublished), Tunis, Tunis First University, Faculty of Arts and Human Sciences, 1993.
30. Muhammad Bayram V, the elite of consideration in the warehouse of the cities and countries, Beirut, Dar Sader, 1885, Part 1.
31. Mahmoud Abdel-Mawla, The Evolution of Economic and Social Thought Through the Ages, Tunisia, The Tunisian Company for Distribution, 2nd Edition, 1979.
32. Al-Hadi Al-Timoumi, The Peasants' Uprisings in the History of Tunisia, Example 1906, Tunisia, House of Wisdom, 1993.
33. Al-Hadi Al-Taymoumi, Tunisia and Modernization, (1831-1877) The First Constitution in the Islamic World, Tunisia, Muhammad Ali Publishing House, 1st Edition, 2010.
34. Yilmaz Oztuna, History of the Ottoman Empire, Istanbul, Faysal Finance Corporation, 1990, Part 2.